تطور الموقف الفاطمي من الوجود الصليبي في ظل التجاذبات المذهبية بين القوى الإسلامية بالمشرق الإسلامي (490هـ- 515هـ/1096م- 1121م)

Evolution of Fatimide position concerning crusaders presence under the different religious doctrine influences of political Islamic forces in Islamic levent (490-515AH/1096-1121AD)

حمزة قادري[1]

جامعة 08 ماي 1945م – قالمة-

مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي

zkadri.hamza@univ-guelma.d

تاريخ الاستلام: 2020/09/28 تاريخ القبول: 2021/05/05

ملخص:

يتناول هذا المقال قضية من أهم قضايا التواجد الصليبي بالمشرق الإسلامي، والمتمثلة في تحليل طبيعة ردود فعل أهم القوى الإسلامية المشكلة لذلك الإقليم من الحملة الصليبية الأولى 490هـ/1096م، وذلك انطلاقًا من تأثير التجاذبات المذهبية بين قوة السلاجقة السنة والفاطميين الشيعة على مناطق النفوذ في بلاد الشام، فأخذنا قوة الفاطميين الشيعة الإسماعيلية –حكام القاهرة- وموقفهم المتخاذل من حصار الصليبيين لأنطاكية الذي خاض فيه الكثير من المؤرخين بالانتقاد تارةً وبالتبرير تارةً أخرى، ثمَّ تناولنا تطور ذلك الموقف بعد الزحف الصليبي على بلاد الشام الجنوبية وعزمهم الاستيلاء على بيت المقدس الخاضع للنفوذ الفاطمي حينها، فرأينا كيف انخرط حكام مصر في جهود المقاومة ضد العدو الطارق، وأكثر من هذا تجاوز الأفضل بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي القوي الفرقة المذهبية ليقوم بالتنسيق مع حكام دمشق السنيين بغية رد الصليبيين وثنيهم عن تحقيق مزيد من المكاسب على حساب المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، الفاطميون، الأفضل بن بدر الجمالي، السلاجقة، الإسماعيلية، السنة.

Summary :
The present article treat one of the most important crusade presence subjects in the Islamic levent. It consists of analysing the nature of reactions made by mains Islamic political forces in the levent territory to the first crusade compaign in 490 hijri/1096 AD beginning with different doctrine ambivalences between sunnite seljukids and Shiite fatimids. We took as a focus, the Shiite Ismaelite fatimids ruling in Cairo and their spineless and coward reaction to the crusade siege of Antioch that some historians criticised and some others tried to find justifications to; After that we treated the the development of that position once the crusade army marched on thes southern levent and were determined to take Jerusalem controlled by fatimids. At that time, Egypt rulers got involved in resistance efforts against the approaching enemy. More than that, the powerful fatimid Visir Al'afdhal ibn Badr Aljamali surpassed the doctrine differences and coordinated actions with sunnite Damascus rulers to counter crusades and force them to withdraw. Stopping them from having more achievements at the cost of Muslims.
Keywords: Crusades, Fatimid's, Al'afdhal ibn Badr Aljamali, Seljukids, Ismaelites, Sunnites.

[1] المؤلف المرسل: حمزة قادري. zkadri.hamza@univ-guelma.d

مقدمة:

استقبل المشرق الإسلامي ابتداءً من العقد الأخير للقرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هجمة عسكرية في قالب ديني عرفت في التاريخ بالحملات الصليبية، حيث دعا لها البابا أوروبان الثاني من مدينة كليرمونت في الجنوب الفرنسي وقادها أمراء ونبلاء من مختلف قوميات الغرب الأوروبي(1)، فكان وصول أولى تلك الحملات إلى الأقاليم الإسلامية سنة 490هـ/1096م عبر ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، في وقت كانت فيه القوى الإسلامية الحاكمة بالمشرق منقسمة؛ تتجاذبها الصراعات بسبب اختلافاتها المذهبية ومساعي التمكين للعقيدة المتبناة لدى كل طرف؛ انطلاقًا من الأحقية الشرعية في حكم المسلمين وسياستهم في أمورهم الدينية والدنيوية،

وخاصة بين قوتي الخلافة العباسية الممثلة للاتجاه السني في بغداد والخلافة الفاطمية الممثلة للاتجاه الشيعي في القاهرة، وقد ألقى ذلك الواقع المذهبي عند المسلمين بضلاله على الوضع السياسي للقوى الحاكمة بالمشرق الإسلامي قبيل قدوم الحملة الصليبية الأولى فكان الصراع على مناطق النفوذ بينها سمة ذلك العصر في سبيل التمكين المذهبي والسياسي، وهو الواقع نفسه الذي تحكَّم في رسم مواقفها وردود فعلها اتجاه الهجمة الإفرنجية (الصليبية)، ولعلَّ أهم تلك القوى حينها الخلافة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية الحاكمة في مصر، فرأينا تناول هذا المقال لإيضاح مدى تأثير الصراع المذهبي السني -الشيعي المستحكم خلال تلك المرحلة على ردود فعل ومواقف هذه الأخيرة من مجيء الصليبيين؛ ثم سيرورة تطوَّر موقفهم بعد ذلك إلى غاية سنة 515هـ/1121م وهي السنة التي اغتيل فيها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي صاحب الكلمة على الديار المصرية وصانع قرارها السياسي ومواقفها الخارجية.

1/ الأوضاع السياسية بالمشرق الإسلامي في ظل الانقسام المذهبي قبيل الحملة الصليبية الأولى 490هـ/1096م: كانت الخلافة العباسية السنية في بغداد أبرز القوى الإسلامية الحاكمة بالمشرق الإسلامي عصر الحروب الصليبية، غير أنَّ حضورها الروحي في المنطقة لم يكن يعكس سلطانها السياسي، إذ كانت السلطة الزمنية في الخلافة تنتقل بين المتغلبين من القوى الناشئة (أتراك بويهيين، سلاجقة)(2) وهذا منذ مطلع العصر العباسي الثاني أو ما اصطلح عليه بعصر النفوذ التركي، غير أنَّ الأخطر في ذلك الازدواج على مستوى هرم السلطة في بغداد ما شهده القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حينما استولى على زمام السلطة الزمنية في الخلافة العباسية السنية أسرة بنو بويه الشيعية الزيدية المذهب (334هـ-447هـ/945م-

1055م)، وهو حدثٌ شاذ وغريب إن صحَّ التعبير فكيف ستتعايش سلطتين لا تقرُّ إحداهما للأخرى بشرعية الحكم(3).

وباتجاه الغرب من الخلافة العباسية السنية تمكَّنت دولة شيعية تتبنَّى المذهب الإسماعيلي(4) عقيدةً من السيطرة على مصر وهي الدولة الفاطمية وذلك سنة (358هـ/969م)، وقد سعت هذه الأخيرة وفق ما تمليه عليه عقيدتها إلى محاولة إسقاط الحكم السني في بغداد باعتباره باطل وأنَّ الشرعية الوحيدة يمتلكها ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي ولد إسماعيل بن جعفر الصادق خاصة، وفي هذا السبيل اتبع خلفاءها عدَّة أساليب تراوحت بين الدعاية للمذهب لتغليب كفَّة المعتنقين له وبين الحسم العسكري على مناطق النفوذ في بلاد الشام والحجاز للاقتراب شيئًا فشيئًا من عاصمة حكم مخالفيهم وأعدائهم (السنيين) بغداد(5)، وقد تأتّى للفاطميين ذلك المسعى وتمكَّنوا عبر أحد قواد الخليفة العباسي المتأثِّر بالدعوة الشيعية الإسماعيلية وهو أبي الحارث أرسلان البساسيري(6) من السيطرة على بغداد سنة 449هـ/1057م، وهذا بدعم من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427هـ-487هـ/1036م-1094م)، فدخلها حاملاً الرايات الفاطمية التي طُرزت باسم "الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين"، وتمتَّع فيها بنفوذ كبير لدرجة أنَّه أضحى يُخطبُ له على المنابر في العراق والأهواز، كما وأسقط الخطبة عن العباسيين وأقامها للفاطميين، وبلغ من نفوذه في بغداد أن لم يَصِرْ بمقدور أيٍ من الخليفة العباسي أو الملك البويهي اتخاذ أي قرار يخصُ أمور الدولة إلاَّ بعد موافقته(7).، وأمام هذا الخطر الذي بات يتهدد حاضرة الحكم السني، لاح في الأفق بصيص أمل حملَهُ الأتراك تحت راية أسرة آل سلجوق التي تمكَّنت من السيطرة على كامل المنطقة الممتدة من حدود العراق العجمي غربًا إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر شرقًا بين سنتي 433هـ-447هـ/1041م-1055م(8)، خاصةً وهم يدينون بالإسلام على المذهب السني

الحنفي حيث يذكر براون(9) بأنَّ " السلاجقة كأغلب الأتراك اعتنقوا مذهب أهل السنة منذ اتخذوا الإسلام دينًا"، فما كان من الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422هـ-467هـ/1031م-1075م)المسلوب السلطان سوى الاستنجاد بقائد دولتهم طغرلبك (429هـ-455هـ/1037م-1063م) لتخليص الخلافة من ذلك الوضع، وهو ما كان فعلاً حيث تمكَّن السلاجقة من إنهاء الحكم البويهي المترنح والقضاء على فتنة البساسيري، ليعاد للخلافة طابعها السني الذي قامت عليه(10).

عمل السلاجقة بعد أن صارت بأيديهم زمام السلطة الزمنية في بغداد على تحقيق أهدافهم السياسية والمذهبية؛ فتمكَّنوا طيلة فترة حكم قادتهم العظام طغرلبك (429هـ-455هـ/1037م-1063م) وابن أخيه ألب أرسلان (455هـ-465هـ/1063م-1072م) وابن هذا الأخير ملكشاه (465هـ-485هـ/1072م-1092م) من إضعاف الحضور الشيعي المتنامي في بلاد الشام والعراق بفرعيه الامامي والاسماعيلي، وعملوا على تعزيز الحضور الفكري للمذهب السني عن طريق بناء المدارس وأساليب الدعاية المختلفة، فكان وزيرهم نظام الملك (ت485هـ/1092م) صاحب الفضل الكبير في ذلك(11).

وأمَّا بلاد الشام مقصد حملات الصليبيين فكانت ميدانًا خصبًا لتلك التجاذبات المذهبية بين قوتي العباسيين والسلاجقة السنة في بغداد والفاطميين الشيعة الإسماعيلية في القاهرة بحكم موقعها كمنطقة نفوذ لكل منهما، فأدَّى ذلك الواقع لضعف هذا الإقليم وخسارة كثير من إمكانياته البشرية وموارده التي كان من الممكن تسخيرها في ردَّ العدوان الصليبي على المنطقة، وقد لخَّص الشنقيطي(12) هذا الوضع ببلاد الشام بقوله: "وهكذا كانت بلاد الشام أمثل مكان يمكن لأي عدوٍ طارق أن يخترق منه قلب العالم الإسلامي، فقد مزَّقها التنافس العباسي الفاطمي، والريبة بين الجماهير

الشيعية العربية في بلاد الشام، والنخبة التركية السنية، ثُمَّ الخلافات الاعتقادية والمذهبية الكثيرة".

هذه صورة مصغَّرة عن الوضع بالمشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الأولى، صورةٌ شغل الصراع المذهبي بين القوى الإسلامية المشكَّلة له الحيّز الأكبر فيها، فجعلت مواقفها وردود فعلها اتجاه الهجمة الافرنجية موجَّهة وفق معادلة الصراع تلك، ولعلَّ الدولة الفاطمية الشيعية كانت أبرز القوى التي تأثَّرت مواقفها من العدوان الصليبي على المنطقة بفعل التجاذبات المذهبية مع مخالفيها السنيين (العباسيين والسلاجقة) في البدء ثم مع (الزنكيين) بعد ذلك، وهو ما عرَّضها للانتقاد؛ بل الاتهام بممالئة الصليبيين والارتماء في أحضانهم ضد إخوانهم المسلمين، فإلى أي مدى هذا التعبير صادق في حق هذه الدولة؟

2/ دور الفاطميين في نجاح الحملة الصليبية الأولى حقيقةٌ أم تجنّي؟: حمَّل العديد من المؤرخين وخاصةً السنيين منهم، ومن كانت كتابتهم خاضعة لميولاتهم المذهبية، مسؤولية سقوط مدينة أنطاكية (491هـ/1097م) وبيت المقدس (492هـ/1098م) وحتَّى طرابلس (502هـ/1109م) في يد الصليبيين للموقف الفاطمي المتخاذل من الحملة الصليبية الأولى (490هـ/1096م) والتي استهدفت بلاد الشام عمومًا والأماكن المقدسة في فلسطين على الخصوص، فابن الأثير مثلاً يتهم الفاطميين بكونهم هم من دعا الصليبيين للمجيء واحتلال الأقاليم الشمالية(13) من بلاد الشام التي كان يسيطر عليها أعدائهم ومخالفيهم في المذهب السلاجقة السنيين، فيقول عن ذلك:" وقيل أنَّ أصحاب مصر العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة... فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه"، لكن هذه الرواية قد تعرضت للتشكيك من بعض الباحثين وأدرجت في إطار المكايدات السياسية والمذهبية للمؤرخين السنيين فيما

يتعلق بالموقف الفاطمي من الغزو الصليبي(14)، فيذكر عن هذه الجزئية أمين معلوف(15) قوله:" وبعدُ فإنَّه إذا كانت دعوة الفاطميين للفرنج محض خيال فإنَّ فرحة حكام القاهرة بوصول المحاربين الغربيين أمرٌ حقيقي".

أمَّا المصادر الإفرنجية –المعاصرة للحملة الصليبية الأولى- فقد تحدثت هي الأخرى عن قضية تواصل الفاطميين مع الصليبيين عن طريق وفد قدم من مصر أرسله الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي(16) في شكل سفارة إلى الصليبيين المحاصرين لأنطاكية سنة 491هـ/1097م(17)، وقد استقر الوفد المصري عند الصليبيين فترةً من الزمن ثمَّ عاد إلى القاهرة مع مبعوثين من الطرف الصليبي لإتمام الاتفاق بينهما، وما يزيد من تعزيز فكرة المسؤولية المباشرة للفاطميين في تحقيق الصليبيين لتلك المكاسب – أي نجاح الحملة الصليبية الأولى في تأسيس كيانات سياسية على حساب الأقاليم الإسلامية- على الأقل في نظر هؤلاء المؤرخين؛ هي مشاعر الغبطة والسرور التي أبانها حكام مصر بقدوم الإفرنج وتمكُّنهم من هزيمة السلاجقة والاستيلاء على عديد المدن الخاضعة لهم في الأناضول وبلاد الجزيرة، فيذكر المؤرخ الإفرنجي وليم الصوري(18) عن تلك المشاعر:" ومن ثمَّ كانت فرحته بالغة (يقصد الوزير الأفضل الذي نعته بحاكم مصر) حين جاءته الأخبار بضياع نيقية(19) من يد قلج أرسلان، وبهزيمة جيشه فيها، وأثلج صدره ما علمهُ من قيام الصليبيين بحصار أنطاكية".، وقد كان هذا الموقف من الفاطميين محط استغراب، حيث أشار مؤرخ مصر ابن تغري بردي(20) إلى دهشته من عدم قيام الأفضل بن بدر الجمالي الحاكم الفعلي لمصر بإرسال عساكر من مصر لرد الصليبيين على حصار أنطاكية، ويتساءل في الوقت ذاته عن سبب ذلك مع قدرة الأفضل على فعلها لما كانت تتمتع به مصر من الأموال وكثرة الجند، وفي المقابل نجد أنَّ الوزير الفاطمي قدَّم مع رسل الصليبيين تعهدًا

باستعداده لمدِّ حلفائه الجدد بالدعم العسكري والأموال اللازمة إن احتاجوا إليها في حصارهم لأنطاكية بغية إخضاعها(21).

ولكن هل يمكن الاعتماد على قصة الاتصال بين الفاطميين والصليبيين هذه لإلقاء كامل اللوم على الموقف الفاطمي وتحميله كامل المسؤولية في نجاح الحملة الصليبية الأولى؟ وما تبع ذلك من مجازر في حق أهالي المدن التي استولوا عليها وأخضعوها لحكمهم، والجواب على هذا التساؤل نجده عند أكثر من مؤرخ معاصر، ممن اعتبروا فيه الموقف الفاطمي سوء إدراك وعدم فهم لمغزى تلك الحملة وأهدافها، وهو الاعتقاد الذي آمن به الكثير من القوى الإسلامية وقتها سنيين كانوا أو شيعة، إضافةً إلى ربط موقف الفاطميين ذاك بما كان بينهم وبين السلاجقة والعباسيين من فُرقةٍ مذهبية جعلت مناطق النفوذ بينهما في بلاد الشام محط صراع لوقت ليس بالقصير، فتحكَّم كل ذلك في موقف الفاطميين، فقد أوعز الكثير من مؤرخي الحروب الصليبية المعاصرين(22) إلى عدم دراية السلطة بمصر الفاطمية لهدف تلك الحركة المسيحية، فظنوا أنَّها جاءت لمساعدة إخوانهم البيزنطيين في الشرق لكسر شوكة السلاجقة بعد أن ألحقوا بالإمبراطورية البيزنطية خسائر فادحة في معركة ملازكرد سنة 463هـ/1071م(23)، واستولوا بعدها على عديد المدن في شرق الأناضول وشمال الشام والتي كانت خاضعة للبيزنطيين ردحًا من الزمن؛ فرأى الأفضل في ذلك فرصةً لتحقيق مكاسب على أعداءه ومخالفيه في المذهب، وقد أشار وليم الصوري(24) لهذه الغاية من طرف حكام مصر بقوله:"واعتبر (يقصد الأفضل) أنَّ خسارة الترك المتكررة هذه مكسبٌ له، وأنَّ كل مصاعب تواجههم توفر السلام والأمن لهُ ولرعيته"، ويضيف هؤلاء المؤرخون في سبيل إعطاء نوع من التبرير لسلوك الأفضل ومن وراءه الدولة الفاطمية، أنَّ هذا الأخير استند في تفكيره إلى خلفية تاريخية مفادها أنَّ الدولة البيزنطية أيام صحوتها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لم

تتعد أملاكها في بلاد الشام مدينة أنطاكية، فظنَّ الأفضل أنَّ تلك الحركة التي جاءت في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لن تتجاوز ذلك الحد، مثلَّما فعل الإمبراطور نقفور الثاني فوقاس Nicephorus II Phocas (963م- 969م/352هـ- 359هـ) والإمبراطور حنا الشمشقيق Jobn I Tzimisces (969م- 976م/359هـ- 366هـ).(25)

وفي سياق هذا الطرح كذلك حاول الدكتور حسن محمد عطية(26) أن يبرز عدم وجود أي اتفاقية وفق بنودٍ محددة جمعت بين الصليبيين والفاطميين تنصُّ صراحةً على اقتسام ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام بينهما (أنطاكية والقسم الشمالي) للصليبيين و(بيت المقدس والقسم الجنوبي) للفاطميين، مثلما فسَّره عديد المؤرخين ممَّا جاء في قول ابن الأثير حول الحادثة –أوردناه سابقًا-، وهذا رغم عدم إنكاره لوقوع الاتصال بين الطرفين وفق ما ذكرته المصادر التاريخية وخاصة الإفرنجية منها والتي كان أصحابها شاهدي عيان ومن المشاركين في الحملة الصليبية الأولى كريموندا جيل والمؤلف المجهول صاحب الجيستا وبطرس تيودبود، فذكر بأنَّ هذه المصادر لم تشر إلى أية بنود لاتفاقية مبرمة، وفي هذا الصدد يقول:"وبتحليل النصوص والأحداث يثبت غير ذلك، فلم ترد في أي من المصادر اللاتينية –أو الإسلامية- أي نصوص محددة لاتفاقية الأفضل مع اللاتين، وإذا كانت هناك اتفاقية محددة البنود كما أورد ابن الأثير، لكان بوهيموند هو الذي وقَّعها مع الفواطم، وهو الذي تولَّى أمور الفرنج منذ معركة حارم وحتَّى سقوط أنطاكية في أيديهم، ولكان أوردها مؤلفه الخاص - مؤلف الجيستا- حتَّى يبرز دور سيده في الأحداث"، كما لا يمكن الوثوق بالمطلق في رواية ابن الأثير التي يشوبها الاضطراب، حيث ابتدأ قوله حول القضية بلفظ "قيل" وختمه بلفظ "والله أعلم"، زيادةً على أنَّ ابن الأثير لم يكن معاصرًا لوقائع الحملة الصليبية الأولى، ومهما يكن من أمر نوايا حكام

القاهرة في اتخاذ ذلك الموقف من حصار الصليبيين لأنطاكية، فإنَّ الأمر المتفق عليه عند الجميع هو حقيقة تحكم التجاذبات المذهبية بين قوتي السلاجقة السنة من جهة والفاطميين الشيعة الإسماعيلية من جهة أخرى في رسمه، فموقف الأفضل لم يكن سوى محاولة لاستغلال فرصة في ميدان الحرب ضد مخالفيه في المذهب، تلك الحرب التي كان وقودها الصراع حول شرعية حكم المسلمين وسياستهم والتي ابتدأت بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم سنة 11هـ/632م.

وعلى ما يبدو فإنَّ حقيقة هذه الفُرقة المذهبية بين أكبر قوتين إسلاميتين وقتذاك قد أدركها الصليبيون كذلك، حيث أفادوا من نصائح الإمبراطور البيزنطي بعد مرورهم بعاصمة حكمه القسطنطينية، أين أشار عليهم بضرورة الاتصال الودي بالفاطميين في مصر واستغلال سوء العلاقة التي تربطهم بالقوى السنية في العراق وشمال الشام لتحقيق أهداف حركتهم (27)، ولنا فيما أورده المؤرخ الصليبي وليم الصوري(28) تأكيدٌ آخر على مدى استيعاب الإفرنج لواقع المسلمين المتردِّي خلال تلك الفترة بسبب خلافاتهم المذهبية حيث يقول:" وملخص أسباب بعثه إياهم –يقصد مبعوثو السفارة الفاطمية - وجود عداوة متأصِّلة وعميقة الجذور منذ سنوات طويلة بين أهل المشرق (العباسيين والسلاجقة) والمصريين، وهي عداوةٌ ناجمة عن اختلاف معتقداتهم الدينية بعضها عن بعض، وظلت هذه الكراهية دون انقطاع حتَّى يومنا هذا"، ولعلَّ من أوضح صور استغلال الفاطميين لوضع السلاجقة المضطرب في شمال الشام حينها، هو تقدُّمهم لاستعادة بيت المقدس وضمه لنفوذهم بالتزامن مع الحصار الصليبي لأنطاكية، حيث كان خاضعًا للسلاجقة عن طريق أسرة الأراتقة(29)، فقد زحف الوزير الفاطمي الأفضل بجيشٍ كبير في صيف العام 492هـ/1098م حاصر به بيت المقدس، ثمَّ أرسل إلى حكامه الأميران سقمان وايلغازي ابنا أرتق يطلب منهما تسليم

المدينة دون إراقة الدماء، فلم يجيباه إلى ذلك، فاضطر إلى استخدام القوة ونصب على أسوار المدينة ما يقرب من أربعين منجنيقًا حتَّى تهدَّم جزءٌ من السور المحيط بالمدينة، ولكن حكامه رأوا أنَّ من الأصلح الإذعان للصلح والتسليم، لعدم وجود المعين لهم بسبب انشغال السلاجقة في حرب الصليبيين في أنطاكية، ليتسلَّمها الأفضل في شعبان سنة 492هـ/أوت 1098م(30)، في حين تمكَّن الصليبيون من الاستيلاء على أنطاكية في رجب491هـ/جوان1098م .(31)، وهكذا حقَّق كل طرف من المتحالفين (الفاطميون والصليبيون) ما كانا يؤملانه من ذلك الاتفاق، وتأكَّدت إلى حدٍّ ما فرضية القائلين بمسؤولية الفاطميين في سقوط أنطاكية وما تبعها من مدن بعد ذلك؛ وأمَّا السلاجقة فقد خسروا أهم مدينتين في بلاد الشام إحداهما في الشمال (أنطاكية) التي ظلت لعقود قاعدتهم في حماية ممتلكاتهم من التحرشات البيزنطية والثانية في الجنوب (بيت المقدس) وهي المدينة ذات الدلالة الدينية والأهمية الإستراتيجية في صراعهم مع الشيعة الفاطميين، ولكن ذلك لم يكن يعني نهاية القصة، فاكتفاء الصليبيين بما حققوه في شمال الشام وبلاد الجزيرة (الرها وأنطاكية) سينفي عن حركتهم الصبغة الدينية التي جيشوا بفضلها الجيوش من الغرب الأوروبي، والتي حملت معها حملاتهم العسكرية اسمها، وربَّما كان سينقطع عنهم الدعم الروحي من البابوية والدعم المادي من ملوك وأباطرة الغرب والشرق على السواء، فيضعف بذلك كل مبررات تلك الحملات، وعليه كان الزحف إلى بيت المقدس أمرًا لا نقاش فيه ولا مساومة، فكيف يا ترى سيتعامل معه حكام مصر - حلفاء الأمس – خاصةً ومسؤولية بيت المقدس تقع على عاتقهم حاليًا؟وهي مركز الدفاع الأول عن إقليم مصر من الناحية الشمالية الشرقية.

3/ صدمة الفاطميين أمام الزحف الصليبي على بيت المقدس: ظنَّ الفاطميون أنّهم بتحالفهم مع الصليبيين قد حققوا الأمان لدولتهم، وأنَّهم

ظفروا بمكاسب مهمة في حربهم مع مخالفيهم في المذهب -السلاجقة السنيين- وأضعفوا من سطوتهم، بل الأهم من كل ذلك تمكُّنهم من السيطرة على بيت المقدس بما يحتله من مكانة في نفوس المسلمين عامة وفي تحقيق أهداف الفاطميين المذهبية خاصة، غير أنَّهم صدموا بحقيقة أطماع الصليبيين وأهداف حركتهم بعد أن رأوا جحافل الجيوش الصليبية تتجه جنوبًا وتُخضع المدن واحدةً تلوى الأخرى، وعقد الصليبيون المنتشون بانتصارهم في أنطاكية مجلسًا حربيًا في ذي الحجة 491هـ/نوفمبر 1098م قرروا فيه السير نحو الجنوب؛ مستهدفين الأراضي المقدسة في فلسطين غايتهم المنشودة في تلك الحروب(32)، وفي طريق الرحلة إلى هدفهم كانوا مضطرين للتعامل مع القوى الإسلامية الصغيرة المتشتتة الولاء السياسي والروحي بين قوتي السلاجقة السنة المنهارة وقوة الفاطميين الشيعة المصدومة من قرار الصليبيين التقدم نحو مناطق النفوذ الخاصة بها.

وإن كان ليس من اختصاص هذا البحث التعرض لردود فعل تلك القوى في بلاد الشام من الزحف الصليبي، وإنَّما التركيز على موقف الفاطميين المنتشون هم الآخرون باستعادة بيت المقدس وبما حققوه دبلوماسيًا على حساب أعداءهم السلاجقة، فإنَّ مجمل القول حول ذلك هو تباين ردود فعل تلك القوى بين الخضوع والاستسلام بسبب الخوف الذي تملَّكها بعد سقوط أنطاكية، كحال بني منقذ في شيزر وبني عمار في طرابلس وصاحبي حماة وصور وبيروت كذلك(33)، وأمَّا من قرر المقاومة في ظروف غير متكافئة فكان مصيره داميًا كحال البارة ومعرَّة النعمان وصيدا(34).

وبالعودة إلى رد الفعل الفاطمي حول الزحف الصليبي فإنَّ الأفضل بن بدر الجمالي تفاجأ لقرار الصليبيين، وبعث يستفسر عن خطوتهم تلك من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexis Comnèn (1081م-1118م/474هـ-512هـ)، حيث كان جوابه بأن نفى أية علاقة تربطه بهم(35)،

وهنا بدأ سوء الإدراك الفاطمي يتحوَّل إلى استيعابٍ تام بأهداف الحركة الصليبية، واقتنع الأفضل بأنَّ هؤلاء لم يأتوا لاستهداف أملاك السلاجقة التي كانت قبل وقت ليس ببعيد من أملاك البيزنطيين، وإنَّما هدفهم الأساسي هو الاستيلاء على الأراضي المقدّسة في فلسطين، فحاول الأفضل يائسًا استباق تقدُّم الصليبيين إلى بيت المقدس وأرسل إليهم سفارةً تعدُّ الثانية في علاقات الفاطميين مع الإفرنج منذ قرارهم المسير إلى الشرق، وصل الوفد الفاطمي قرب طرابلس - في وقت كان الصليبيون يحاصرون مدينة عرقة - يحمل الهدايا النفيسة والأموال الكثيرة لكل واحد من زعماء الحملة، كما حملت السفارة الفاطمية عرضًا مفاده أن يكتفي الصليبيين بما استولوا عليه في شمال بلاد الشام والعدول على فكرة المسير إلى جنوبه حيث ممتلكات الفاطميين، مقابل تعهَّد الأفضل بالسماح للحجاج النصارى بالقدوم إلى بيت المقدس في جماعات تتألَّف بين مائتين وثلاثمائة حاج، على أن لا يكونوا مسلَّحين ولا تتعدَّ مدة إقامتهم أكثر من شهر واحد، ومحذرًا في الوقت ذاته في حال رفضهم للعرض من مغبة التقدُّم إلى بيت المقدس الذي من شأنه أن يجمع جيوش المسلمين في المشرق والمغرب على حربهم دفاعًا على قبلتهم الأولى(36)، غير أنَّ ذلك العرض وتلك التحذيرات لم تكن لتوقف قادة الحملة الصليبية عن أهدافهم، خاصةً وهم مدركون لأوضاع المسلمين المضطربة بسبب خلافاتهم المذهبية، وأنَّ احتمال اجتماعهم للوقوف في وجه ذلك الزحف مستبعدٌ إلى حدٍّ كبير؛ فكان جوابهم صادمًا لحكام مصر، حيث طلبوا من السفارة الفاطمية مغادرة المعسكر الصليبي وإبلاغ قادتها بأنَّهم سيحُجُّون فعلاً ولكن بإذن الرب وليس بإذن الخليفة الفاطمي، وأنَّهم عازمون على تحرير الضريح المقدس من أيديهم، كما أرسلوا تهديدًا صريحًا بغزو مصر ذاتها إذا اعترض الفاطميون طريقهم(37).

لقد أبان الرَّد الصليبي على العرض الفاطمي مدى الاستغلال الذي تعرَّض له الأفضل بن بدر الجمالي خلال الاتفاقية الأولى المبرمة بين الطرفين، فتمكنوا بخبثٍ من تحييد قوة الفاطميين عن الصراع الدائر بينهم وبين السلاجقة في شمالي العراق وبلاد الشام من خلال التظاهر بقبول معاهدة الصداقة مع حكام مصر، ثمَّ ما لبثوا أن كشفوا عن نوايا حركتهم اتجاه الشرق بعد الانتصارات التي حققوها على حساب السلاجقة، وحينها تبيَّن للأفضل مدى جسامة الخطأ الذي ارتكبه حينما وثق بالغريب على حساب إخوانه في الدين، ليكون بعد ذلك أمام حتمية المواجهة قصد رد الأعداء وثنيهم على تحقيق هدفهم باحتلال بيت المقدس، فكان الرد الصليبي إعلانًا صريحًا ببداية النزاع المسلَّح بين الطرفين، وعلى أية حال فقد أتمت القوات الصليبية رحلتها إلى بيت المقدس في رجب 492/جوان1099م، وهناك كان افتخار الدولة حاكمها من قبل الفاطميين قد اتخذ ما يمكنه من احتياطات واستعدادات لمواجهة الموقف، فسمَّم الآبار وقطع موارد المياه وأخفى المواشي وطرد جميع من بالمدينة من المسيحيين في حين أبقى على اليهود بها، فضلاً عن اهتمامه بتقوية دفاعاته والتأكد من سلامة أسوار المدينة، وتوفير المؤن وملأ خزانات المدينة بكمية كافية لتحمُّل الحصار إن طال، ثمَّ أرسل إلى الفاطميين يطلب النجدة العاجلة(38).

ضرب الصليبيون على المدينة حصارًا دام قرابة الأربعين يومًا، واجهوا خلالها صعوبات جمَّة كحرارة الصيف المرتفعة وقلة المياه بعد أن أفسد الفاطميون مصادره، كما أنَّ مؤنهم شارفت على النفاذ فلم يجد المحاصرون رغيف الخبز لسد جوعهم، فضلاً عن النزاعات التي كانت تتجدد بين القادة الصليبيين حول مصير المدينة المقدسة بعد الاستيلاء عليها، ومن جهة أخرى استبسلت الحامية الفاطمية في الدفاع عن المدينة بمهاجمة جماعات من الجيش الصليبي كانت تخرج للبحث عن الماء، كما وبلغ مسامع المحاصرين

قدوم جيش كبير أرسله الأفضل من مصر لردهم عن بيت المقدس(39)، ودفعت هذه الظروف التي أحاطت بحصار المدينة الأمراء الصليبيين إلى ضرورة الاستعجال في اقتحام أسوار المدينة قبل بلوغ النجدات من القاهرة(40)، فقاموا بتشديد الحصار ونصبوا آلات الحرب والسلالم الخشبية للصعود عبرها فوق أسوارها؛ ولكنَّهم عجزوا ولم يحققوا شيئًا من النجاح، حيث أمطر المدافعون المسلمون المقاتلين الصليبيين بالأحجار والسهام والخشب والقش المشتعلين، ليهتدوا إلى خطة ثانية قاموا فيها ببناء برجين متحركين من الخشب نُصبا على أسوار المدينة أحدهما بباب صهيون والآخر بباب العمود، فأحرق المسلمون البرج الذي كان بباب صهيون وقتلوا من فيه، وأمّا الآخر فتمكَّن المحاصرون من الزحف به حتَّى ألصقوه بالسور، وحكموا به على البلد، وكشفوا ما كان عليه من المسلمين ثمَّ أخذوا يشنون هجومًا شاملاً عليها ليلة 20 من شعبان 492هـ/14 جويلية 1099م، استطاعوا في اليوم الموالي اقتحام المدينة لتسقط بأيديهم بعد أن دافعت عنها حاميتها الفاطمية بكل قوة وصبر(41).

4/المقاومة الفاطمية استفاقةٌ وتجاوز لمرحلة سوء الإدراك: كان لسقوط بيت المقدس بيد الصليبيين أثرٌ بالغ في تطوُّر الموقف الفاطمي من وجودهم بالمشرق، فقد اكتملت لدى الأفضل أجزاء صورة ذلك العدوان وحقيقة أهداف حركتهم، ولم يعد أمامه بسبب أطماعهم المتنامية في المنطقة سوى اتخاذ المقاومة سبيلاً لحماية ما تبقى له من ممتلكات في بلاد الشام وتأمين حدود مصر من جهة الشرق، وهو في هذا قد تجاوز مرحلة سوء الإدراك أو مرحلة الخذلان –حسب تعدد الآراء في توصيف الموقف الأولي للفاطميين-، كما دفعهُ خطر الصليبيين كذلك إلى إعادة ترتيب علاقاته مع السلاجقة السنيين، وعمل على تجاوز الاحتقان المذهبي بينهما بالتحالف معهم ضد عدوهما المشترك، وقد ابتدأت المرحلة الجديدة لموقف الفاطميين من الوجود

الصليبي قبيل سقوط بيت المقدس بقليل حيث حاول الأفضل تدارك جسامة خطئه بالخروج على رأس جيشٍ لإنقاذ بيت المقدس، غير أنَّ وصوله كان متأخرًا بنحو عشرين يومًا عن سقوط المدينة المقدَّسة، فرابط بمدينة عسقلان ينتظر وصول الأسطول الفاطمي عبر البحر والنجدات العسكرية التي كان وعد بها بعض أمراء القبائل(42)، وفي الوقت ذاته أرسل إلى الصليبيين رسولاً يُوبخهم ويتهددهم ويُنكر عليهم ما فعلوه ببيت المقدس وأهله(43)، فكان جواب تهديده أن فاجأه الصليبيون بعسقلان وأنزلوا به هزيمة ساحقة كادت تسقط معها المدينة في أيديهم(44)، ولم تكن خسارة الأفضل لمعركة عسقلان لتثنيه عن مواصلة جهود المقاومة ضد العدو الغازي، حيث دفعهُ اقتناعهُ بخطورة بقاء الصليبيين على حدود مصر الشرقية إلى الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، فأرسل بين سنتي 494هـ-498هـ/1100م-1105م ثلاث حملات عسكرية كبيرة، أولاها كانت بقيادة سعد الدولة الطواشي (وهو أحد مماليكه) حيث جمع قواته في عسقلان التي صارت وقتها قاعدة أمامية للحملات المصرية على صليبيي الشام، وسار بها صوب الرملة بقصد تهديد الصليبيين في كل من يافا وبيت المقدس، غير أنَّ بلدوين الأول ملك بيت المقدس أدرك خطر القوات الفاطمية فاستعجل تنظيم صفوفها ووصول إمدادات جديدة إليها من مصر، وسعى لأخذها على حين غرّة، فالتقت القوتين الفاطمية والصليبية في السهل الواقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، وهناك كسرت ميمنة وميسرة الجيش الفاطمي، وثبت سعد الدولة مقدِّم العسكر وقاتل حتَّى قُتل، في حين فرَّ من تبقى من جنده إلى عسقلان مندحرين، ليكون النصر حليف الصليبيين في الموقعة(45)، وزادت انتكاسة الحملة العسكرية الأولى من عزم الأفضل على مقاومة الصليبيين فجهَّز بعد سنتين من تلك الهزيمة (496هـ/1002م) حملةً ثانية عهد بقيادتها لابنه شرف المعالي سناء الملك وضمَّت أزيد من عشرين

ألف مقاتل من السودانيين والعرب، وقد احتشد هذا الجيش الكبير بعسقلان ثمَّ اتخذ طريقه إلى الرملة، وحين سمع بلدوين الأول ملك بيت المقدس خبر قدوم الحملة الفاطمية خرج على رأس قوة صغيرة تقدر بحوالي سبعمائة فارس وراجل، وعلى ما يبدو فالملك الصليبي قد غرَّهُ ما حققهُ من انتصار على الفاطميين في الحملة السابقة، وقد التقى الجيشان ببلدة تعرف بيازور قرب مدينة الرملة، وهناك دارت معركةٌ بين الطرفين حقق خلالها شرف المعالي نصرًا مؤزرًا قُتل على إثره الكثير من الفرسان الصليبيين، وكاد بلدوين نفسه أن يقع في الأسر لولا هروبه إلى يافا(46)، ليتمكَّن بعدها شرف المعالي من اقتحام الرملة بعد حصار دام خمسة وعشرين يومًا، فدخلها بعد أن قتل من الصليبيين أربعمائة وأسر ثلاثمائة بعث بهم إلى مصر(47)، ولكن هذا النصر المؤزر سرعان ما تحوَّل إلى هزيمةٍ منكرة، نتيجة سوء تدبير قادة الحملة الفاطمية واختلافهم حول الخطوات اللاحقة في المعركة، فيصف ابن الأثير(48) هذا الحال كما يلي:" واختلف أصحابه (يقصد شرف المعالي بن الأفضل في مقصدهم، فقال قوم: نقصد البيت المقدس ونتملَّكه، وقال قوم: نقصد يافا ونملكها، فبينما هم في هذا الاختلاف، إذ وصل إلى الفرنج خلقٌ كثير في البحر، قاصدين زيارة البيت المقدَّس، فندبهم بغدوين (بلدوين) للغزو معه، فساروا إلى عسقلان، وبها شرف المعالي، فلم يكن يقوى بحربهم"، وقد اضطر شرف المعالي تحت ضغط القوات الصليبية عن مواصلة حصار يافا، وكرَّ راجعًا إلى عسقلان والصليبيون خلفه ساعين لإلحاق الهزيمة بقواته هناك، غير أنَّهم فشلوا في اختراق أسوار المدينة لحصانتها؛ فعادوا إلى يافا وعاد بعدها شرف المعالي إلى القاهرة، لتكون ثاني المعارك التي يخسر فيها الأفضل في حربه مع مملكة بيت المقدس الصليبية، ومع هذا فقد ظلَّ إدراكهُ بخطورة الوضع في مصر مع بقاء الصليبيين على تماس حدوده الشرقية

يدفعهُ للثبات على موقف المقاومة علَّهُ يحقق مكاسب تضمن له راحةً أكبر في مواجهة ذلك الخطر.

وعليه فقد قرر إرسال حملةٍ عسكرية ثالثة أوكل مهمة قيادتها لشخصيتين عسكريتين هما: القاضي ابن قادوس وتاج العجم أحد مماليك والده بدر الجمالي، فسار الأول بقواته عبر البحر ونزل بها على يافا محاصرًا وأمَّا الثاني فقد اتخذ البر طريقا له في تلك الحملة وعسكر بعسقلان، غير أنَّ انعدام التنسيق بين القائدين دفع بجهودهما إلى الانتكاس، فحدث أن رفض تاج العجم طلب ابن قادوس بالمسير إليه لتشديد الخناق على يافا، متحججًا بعدم وصول أوامر من الأفضل في هذا الشأن، فما كان من ابن قادوس سوى مراسلة قاضي عسقلان وأعيانها يشهدهم على ما بدر من تاج العجم من تقاعس وعدم مؤازرته على حصار الصليبيين في يافا، وحينما وصل خبر الخلاف إلى الوزير الأفضل أرسل من يقبض على تاج العجم ثُمَّ عيَّن مكانه على القوات المرابطة بعسقلان قائدًا جديدًا هو جمال الملك رضوان وجعله متقدم العساكر الشامية(49)، وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الفاطمية تنتظر اتفاق قادتها، كانت القوات الصليبية تحتشد بدعوة من بلدوين الأول ملك بيت المقدس لرد قوات ابن قادوس المحاصرة ليافا، فوصلت نجدات كل من القائدين الصليبين تنكرد أمير أنطاكية وبلدوين أمير الرها تحت قيادتهما، فاشتبكت القوتين في معركةٍ انهزم فيها الفاطميون وعادوا منسحبين إلى قاعدتهم في عسقلان والقوات الصليبية في أعقابهم(50)، وعلى الرغم من هذه الانتكاسات المتتالية للقوات الفاطمية في مواجهة صليبيي بيت المقدس؛ فإنَّ الأهم الذي طرأ على الموقف الفاطمي هو تخلص الأفضل من فكرة اعتبار هؤلاء الغزاة حلفاء على حساب القوى الإسلامية المخالفة لهم في المذهب، بل وزاده معرفته بعدم قدرة القوات الفاطمية على مجاراة الجيوش الصليبية إلى التنسيق العسكري مع سلاجقة دمشق السنيين متجاوزًا بذلك

الاحتقان والتجاذبات المذهبية التي لطالما كانت سبب هزائم المسلمين في عديد المدن والقرى.

5/ التنسيق الفاطمي –السلجوقي في رد الصليبيين: أطلق المؤرخ عبد الفتاح عاشور(51) على تلك الجهود الوحدوية بين الفاطميين الشيعة الإسماعيلية في مصر والسلاجقة السنيين في دمشق لمواجهة التحرشات الصليبية في جنوب الشام بـ " المعجزة الكبرى"، ولعلَّ هذا التعبير من قبل هذا المؤرخ يلخِّص مدى أهمية هذا الحدث في مسار نشاط المقاومة ضد العدوان الصليبي في المنطقة، وفي الوقت نفسه يُفضي هذا التعبير لعمق الانشقاق والتشرذم بين القوى الإسلامية المتمذهبة في غالبها والمصطفَّة بين خلافتي بغداد السنية والقاهرة الشيعية الاسماعيلية؛ حيث كانت الوحدة بينها خلال تلك الفترة من القضايا الغير مطروحة إطلاقًا، وكانت أولى بوادر وحدة المواقف السياسية بين الطرفين حينما التجأ والي الفاطميين في عكا واسمه زهر الدولة الجيوشي المعروف بـ " بنا"(52) إلى ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق فارًا من القوات الصليبية التي حاصرت مدينته ثمَّ استولت عليها بعدما رفضت طلباته بالاستسلام والأمان، فاستُقبل من طرف القائد السلجوقي أحسن استقبال وأكرم وفادته، وبقي في دمشق مدة من الزمن ثمَّ جهَّزهُ طغتكين وأعاده إلى القاهرة، أين طلب العفو من الأفضل فقبله منه(53)، وقد وقع أثر هذا الموقف من حاكم دمشق السني اتجاه والي الفاطميين الشيعي على نفس الأفضل بن بدر الجمالي، فراسل بدوره طغتكين يشكره على ما بدر منه اتجاه واليه(54)، أعقب هذه النوايا الحسنة في التعاضد بين الفاطميين والسلاجقة في جنوب الشام، خطواتٌ أخرى عملية على خط الوحدة؛ أبانت على دخول الصراع الإسلامي- الصليبي مرحلة جديدة، فحدث أن استعان الأفضل الفاطمي بقوات طغتكين أمير دمشق السني في الحملة العسكرية التي بعث بها سنة 498هـ/1105م تحت قيادة

ابنه سناء الملك حسين والتي ضمت ما يزيد عن خمسة آلاف جندي من المصريين والسودانيين، وبدعمٍ من الأسطول الفاطمي عبر البحر(55)، ولم يتردد طغتكين في إجابة طلب المعونة الذي تقدَّم به الوزير الفاطمي، بل رأى فيه خطوةً مهمة لإقامة تحالف استراتيجي مع الفاطميين لمواجهة خطر الصليبيين في تلك المرحلة الحرجة على الأقل، فيذكر رنسيمان(56) عن رد فعل طغتكين أنَّهُ كان بفرحٍ وسرور، وهذا ما يؤكِّد رغبته في تجاوز الخلاف المذهبي بين الطرفين لصالح الوحدة السياسية والعسكرية، فكان أن أرسل إليهم أحد رجاله وهو "أصبهبد صباوه" ومعه ألف وثلاثمائة فارس، فاجتمعت كل تلك القوات في عسقلان(57). التقت القوات الصليبية مع القوات الإسلامية المتحالفة بين يافا وعسقلان في معركةٍ كان تعداد الجيوش الإسلامية فيها ستة آلاف وثلاثمائة فارس في حين ناهز تعداد الجيش الصليبي الألف وثلاثمائة من الفرسان وثمانية آلاف راجل(58)، وعن نتيجتها فقد كانت متكافئة وفق ما جاءت به المصادر التاريخية، حيث قتل من المسلمين ألفٌ ومائتان؛ ومن الفرنج مثلهم، كما قتل في المعركة أمير عسقلان جمال الملك، لتعود على وقع تلك النتيجة قوات سناء الملك إلى عسقلان وقوات صباوه إلى دمشق(59)، ولقد أبانت هذه المعركة - التي لم يحسم فيها بلدوين ملك بيت المقدس النتيجة لصالحه هذه المرة- على تبدُّل كبير في ميزان القوة بين الطرفين المتصارعين، وأبرقت خطوة التحالف تلك على مدى إمكانية تجاوز الأطراف الإسلامية للاحتقان المذهبي في سبيل تحقيق المصالح المشتركة، فكانت تلك الخطوة مقدمة لمرحلة جديدة من التطورات الطارئة على الموقف الفاطمي من الوجود الصليبي بالمشرق، واستمر التنسيق الفاطمي –السلجوقي في حرب الصليبيين لينتقل من التحالف الحذر إلى التعاضد الكامل، فحدث أن اجتمعت سنة 512هـ/1118م القوات الفاطمية مع القوات الدمشقية بأوامر من الأفضل وتحت سلطة ظهير الدين طغتكين

لمواجهة تهديدات بلدوين الأول ملك بيت المقدس في غزو مصر، فكانت هذه الخطوة تعبيرٌ صادق على مدى التطور الحاصل في الموقف الفاطمي من الوجود الصليبي في المنطقة، وفي الوقت ذاته تأكيدٌ على صدق نوايا التحالف مع سلاجقة دمشق رغم الاختلاف المذهبي بين القوتين.

كان بلدوين ملك بيت المقدس قد طمع في غزو مصر بعد أن لاحظ مدى الوهن الذي بلغتهُ السلطة الفاطمية، وتمكُّنه من السيطرة على كثير من ممتلكاتها في الساحل الشامي كصيدا وبيروت، فخرج على رأس قواته سنة 511هـ/1118م سالكًا طريق الصحراء من غزة إلى العريش حتَّى وصل إلى الفرما(60)، فاستولى عليها وأحرق مساجدها وكثيرًا من بيوتها(61)، لكن الأجل كان أسبق من تحقيق بلدوين لأهدافه التوسعية في المنطقة فتوفي في أواخر سنة 511هـ/1118م(62)، لتعود قواته أدراجها صوب بيت المقدس، وقف الأفضل الفاطمي على هذه المحاولة الصليبية في غزو مصر بقلق واضطراب، ورأى أنَّ التهديد الصليبي بلغ مرحلةً خطيرة لابدَّ من الردِّ عليها، فقام بتجهيز حملة عسكرية سنة 512هـ/1118م قوامها سبعة آلاف فارس لتعقب قوات بلدوين المتقهقرة، وفي الوقت نفسه أرسل إلى حليفه السني أمير دمشق يطلب عونه في حرب الصليبيين، كما أوصى قائد حملته بتسليم قيادة القوات المشتركة لطغتكين حين الاجتماع به في عسقلان(63)، وعلى الرغم من أنَّ القوات الإسلامية المتحالفة لم تتمكَّن من اللحاق بجيش المملكة الصليبية، ولم يقع قتال بين الطرفين، حيث رابط كل من المسلمين والصليبيين مدة شهرين أو ثلاثة، ثمَّ انصرف كل فريق من حيث أتى(64)، إلاَّ أنَّ الأهم في تلك الحملة هو مستوى التنسيق الذي بلغته العلاقات الفاطمية السلجوقية في مواجهة الوجود الصليبي، وهو المستوى الذي لو كتب له الاستمرار طويلاً لما مكث الصليبيون كل تلك الفترة في بلاد الشام –أي قرنين

من الزمن-، حيث حدث أن اضطربت العلاقة بين حكام القاهرة وطغتكين بعد مقتل الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي سنة 515هـ/1121م.

لقد أوعز كل من ابن الأثير وابن القلانسي(65) سبب مقتل الأفضل إلى سياسة التقارب التي انتهجها مع حكام دمشق السنيين، فعُدَّت من قبل المتعصبين من الشيعة وعلى رأسهم الخليفة الآمر بأحكام الله(495هـ-524هـ/1101م-1130م)، تعديًا على خصوصية عقيدة الإمامة الإسماعيلية؛ التي تعتبر السنيين خصومًا وليسوا حلفاء وممالئتهم انتقاصٌ من قدسية تلك العقيدة بل وشُكك في ولائه للخلفاء الفاطميين وعقيدتهم، فيقول ابن الأثير عن ذلك: "وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسبابٍ منها تضييعه (تضييقه) على إمامهم (الخليفة الفاطمي)، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم وإذنه للنَّاس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها"، وذهب ابن القلانسي إلى القول بأنَّ الأفضل كان حسن الاعتقاد في مذهب السنة، وهو الأمر الذي خلق له الأعداء من الإسماعيلية المتشددين.

6. خاتمة:

سار إذا على هذا النحو موقف الفاطميين من الوجود الصليبي بالمشرق الإسلامي؛ وذلك على عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (487هـ-515هـ/1094م- 1121م) وبخلافة المستعلي بالله (487هـ-495هـ/1094م-1101م) ثمَّ الآمر بأحكام الله (495هـ- 524هـ/1101م-1130م)، فرأينا كيف كان للصراع المذهبي بينهم وبين مخالفيهم السنيين حول الأحقية في حكم المسلمين وسياستهم أثرٌ في توجيه ذلك الموقف، حيث أراد الأفضل بن بدر – وزير السيف والقلم- في البداية استغلال تلك الحركة العسكرية الغربية في صراعه مع السلاجقة حماة الخلافة العباسية السنية لترجيح كفة الصراع المذهبي لصالحه؛ بعد أن فقدتها الدولة الفاطمية منذ منتصف القرن

الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهذا عن جهلٍ بطبيعتها أو عن قناعة بضرورة نصرة المذهب باستخدام كل الوسائل، ثمَّ رأينا كيف انتقل الموقف الفاطمي من السلبية في التعاطي مع الهجمة الصليبية إلى تحريك الجيوش من القاهرة لمواجهتها، بعد انجلاء ضباب حقيقة تلك الحركة باستهدافها للمشرق الإسلامي برمته والأماكن المقدَّسة في فلسطين بالخصوص والتي تقع ضمن حدود ممتلكات الفاطميين، لينتقل بعدها الموقف الفاطمي إلى مرحلةٍ اعتبر فيها الأفضل أعداءه في المذهب حلفاء، فحدث أن اجتمعت قوات الطرفين جنبًا إلى جنب في حرب الصليبيين، وكان هذا الحدث بمثابة المعجزة وبارقة أمل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من توسعات هؤلاء الغزاة.

ولكن مقتل الأفضل بن بدر الجمالي مهندس تلك المواقف السياسية للفاطميين على يد أطراف شيعية، وما قيل وفق كتابات المؤرخين حول وجود علاقة بين اغتياله وبين التقارب الذي أحدثهُ مع سلاجقة دمشق السنيين، واعتبار ذلك تجاوز في حق العقيدة الإسماعيلية، يعيدنا إلى نقطة البداية في تحليل مدى إمكانية تجاوز الاحتقان المذهبي من قبل الأطراف المتنازعة، انطلاقا من عمق الخلاف وقدمه في تاريخ الإسلام؛ وتحوُّله عبر الزمن من اختلاف سياسي إلى خلاف عقدي.

7. الهوامش:

(1) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، تر، زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990، ص 31، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر، حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1998، ص61.

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلافة العباسية، دار النفائس، ط7، بيروت، 2009، ص18-37، 156، ابراهيم سلمان الكروي، البويهيون والخلافة العباسية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008، ص5-6.

(3) ابراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص141 وما يلها، محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص220.

[4] انقسمت الشيعة بعد وفاة الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق سنة 148هـ، إلى فرقتين إحداهما ترى بأنَّ الإمامة تكون في ولده الأكبر إسماعيل الذي توفي في حياة والده وبالتالي تنتقل إلى محمد بن إسماعيل وفق نظرية الإمامة في الأعقاب التي يعتقد بها الشيعة فسموا بالإسماعيلية لنصرتهم لإسماعيل في قضية الإمامة، أمَّا الفرقة الثانية فقالت بأنَّ الامامة انتقلت إلى الابن الأصغر موسى بن جعفر ما دام توفي إسماعيل في حياة والده فسموا الموسوية أو الامامية، وقد كان تأسيس الدولة الفاطمية الشيعية من طرف الاسماعيليين، أنظر، الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد (ت548هـ)، الملل والنحل، تح، أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1990، 226/1، القمي سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري (حوالي 301هـ)، كتاب المقالات والفرق، صححه وقدَّم له وعلَّق عليه: محمد جواد مشكور، طهران، 1963، ص3- 5، البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ت، ص62-63، الحسن بن موسى النوبختي (ت310هـ/922): فرق الشيعة، مطبعة الدولة، استانبول، 1931، وانظر، محمد حسين كامل، طائفة الإسماعيلية – تاريخها ونظمها وعقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1959، ص 11-12.

[5] حول جهود الفاطميين الدعوية لنصرة المذهب راجع بأكثر تفاصيل حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932، الفصل الثالث والرابع.

[6] هو الأمير أبو الحارث أرسلان التركي البساسيري، وكان مملوكًا لرجل من أهل مدينة بسا، فنسب إليه، فقيل له البساسيري وتلقب بالملك المظفر، ثم كان مقدِّما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله، لا يقطع أمرًا دونه وخطب له على منابر العراق كلِّها، ثم طغى وبغى وتمرَّد وخرج على خليفة المسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين، ثمَّ انقضى أجله سنة 451هـ/1060م، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ/1457م):، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، 192/1، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347)، العبر في خبر من غبر، تح، أبو هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 298/2.

[7] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت 463هـ/1083م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، 48/11-50، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 348/15، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ/1232م)،الكامل في التاريخ، راجعه وصحَّحهُ، محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، 341/8، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 192/1-193، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي(ت732هـ/1331م)، تاريخ أبي الفدا المسمى المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، د ت،177/2-178، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

(ت748هـ/1347)، العبر ،289/2، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1998م.، 730/15.

(8) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988، ص105.

(9) إدوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران، تر، إبراهيم أمين الشورابي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، 211/2.

(10) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 51/11-52،، الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ)، تاريخ دولة آل سلجوق، طُبِعَ على نفقة شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1900، ص10، 17، ابن الجوزي، المنتظم، 348/15، 54/16، ابن الأثير، الكامل، 322/8، 347، الذهبي، العبر، 289/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 729/15-730، 772، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح، إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1956، 59/5.

(11) راجع بمزيد من التفاصيل عن دور السلاجقة في دعم المذهب السني والإضعاف من الحضور الشيعي بالمشرق الإسلامي، عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري، ص173- 205.

(12) محمد بن المختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2016، ص122.

(13) ابن الأثير، الكامل، 13/9.

(14) محمد عبد الله المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص 42.

(15) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص70.

(16) هو الأفضل شاهنشاه أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني، كان في الحقيقة صاحب الديار المصرية، تولَّى منصب الوزارة بعد موت أبيه، كان شهمًا، مهيبًا، ولي وزارة السيف والقلم للمستعلي ثمَّ للقائم، وكانا معه صورةً بلا معنى، وكان قد أذن للنَّاس في إظهار عقائدهم، وأمات شعار دعوة الباطنية (الإسماعيلية النزارية)، فمقتوه لذلك، وكان مولده بعكا سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة، وخلَّف من الأموال ما يستحيا من ذكره، وثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين فقتلوه، وقيل إنَّ الآمر دسَّهم عليه بتدبير أبي عبد الله البطائحي الذي وزر بعده ولقِّب بالمأمون، أنظر، الذهبي، العبر، 2/، الحنبلي، شذرات، 76/6-77.

(17) مجهول، صاحب يوميات أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، (ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية)، الجزء 6، تح، سهيل زكار، د مط، دمشق، 1995، 123/6، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر، حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1989، ص105،بطرس تيوديبود، تاريخ الرحلة، ص142-143.

[18] الحروب الصليبية، تر، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، 304/1.

[19] نيقية، مدينة من أعمال القسطنطينية، تشرف عليها الجبال من جميع الجهات، لها عشرة حصون، تتميز بأبراجها الشاهقة الارتفاع، تبعد عن البحر مسافة ثمانية أميال، لها بحيرة عذبة، ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ق3هـ/9م)، كتاب المسالك والممالك، تح، ميكال يان دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص106، وليم الصوري، تاريخ، 200/1.

[20] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 146/5.

[21] وليم الصوري، الحروب الصليبية، 304/1.

[22] عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد البحيري، بيروت، 1977، ص170، حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، د ط، القاهرة، 1958م، ص127.

[23] ملازكرد أو مانزكرت، هي إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي جرت بين السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان وبين البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع Romanus IV Diogenes (1068م-1071م- 460هـ-464هـ)، تمكَّن فيها السلاجقة من تحقيق نصر مظفر على الطرف البيزنطي أسر على إثرها إمبراطورهم، واستولى بعدها السلاجقة على معظم أراضي آسيا الصغرى، وكان ذلك سنة (463هـ/1071م)، أنظر، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 1/83-85، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص99، ابن الجوزي، المنتظم، 16/125-126، ابن الأثير، الكامل، 8/388-389.

[24] وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 304/1.

[25] سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ص170،

[26] لقد تناول الكاتب هذه القضية في هوامش كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس لريموندا جيل، الذي قام الكاتب بترجمته عن النسخة الانجليزية لجون هيوم هيل ولوريتال هيل، أنظر هوامش الصفحة 112-113.

[27] ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 3أجزاء، تر، السيد الباز العريني، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1967، 325/1، حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص124.

[28] الحروب الصليبية، 304/1.

[29] خضعت بيت المقدس للفاطميين منذ أن تمَّ لهم السيطرة على مصر سنة 358هـ/969م، ثمَّ تمكَّن القائد السلجوقي أتسز بن أوق الخوارزمي من السيطرة عليها سنة 463هـ/1071م في إطار مساعي السلاجقة لاستعادة ممتلكات الخلافة العباسية السنية في بلاد الشام، ثمَّ حكمها لتاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان الذي عين عليها أرتق بن أكسب مؤسس الأسرة الأرتقية سنة 472هـ/1079م نائبًا عنه في القدس، لتظلَّ تحت سيطرتهم إلى غاية استلامها من قبل الفاطميين سنة 492هـ/1098م ، أنظر، مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، 1998م، ص32- 36.

[30] وليام الصوري، الحروب الصليبية، 57/2، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص135، ابن الأثير، الكامل، 19/9، أبو الفدا، المختصر، 211/2، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)، تح، جمال الدين الشيال، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط2، القاهرة، 1996، 22/3.

[31] ابن الأثير الكامل، 16/9، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، 491/19، ابن العديم، زبدة حلب، 135/2.

[32] وليم الصوري، الحروب الصليبية، 20/2-21، رنسيمان، تاريخ، 366/1، سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 2010، 221/1،

[33] ريموناجيل، تاريخ الفرنجة، ص235، بطرس تيوديبود، تاريخ، ص262، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص68، سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، 179/1.

[34] ريموناجيل، تاريخ الفرنجة، ص 170-171، بطرس تيوديبود، تاريخ الرحلة، ص260، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 36/2-37، 43-44، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص136، ابن الأثير، الكامل، 16/9، حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص160-164، 171-172.

[35] عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ص173- 174، مسفر بن سالم عريج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة، 1986، ص 121.

[36] ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص188، وليام الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 56/2-57،

[37] ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص188، وليام الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 56/2-57،

[38] مجهول، أعمال الفرنجة، 168/6، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 93/2-94، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 136-137، أبو الفدا، المختصر، 211/2، رنسيمان، تاريخ، 394/1، Roscoe Thomas: History of Chivalry and the Cruasades, Vol , I, p286.

[39] ريمونادجيل، تاريخ الفرنجة، ص227، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 99/2-100، رنسيمان، تاريخ، 421/1-422،

[40] أنتوني بريدج، تاريخ الحروب الصليبية، تر، أحمد سبانو ونبيل الجيرودي، دار قتيبة، دمشق، 1985، ص101، رنسيمان، تاريخ، 422/1.

[41] وليام الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 124/2-126، ابن الأثير، الكامل، 19/9-20، ابن ميسر، أخبار مصر، ص66- 67، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 148/5، الحنبلي، شذرات الذهب، 397/3.

[42] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص137.

[43] بطرس تيوديبود، تاريخ الرحلة، ص337، ابن الأثير، الكامل، 21/9، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 24/3.

[44] الغامدي، المرجع السابق، ص122. حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص192-193.

(45) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص140، العظيمي، محمد بن علي (ت556هـ/1161م)، تاريخ حلب، تح، ابراهيم زعرور، د مط، دمشق، 1948م، ص361-362، ابن الأثير، الكامل، 67/9-68، ابن ميسَّر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت677هـ/1278م)، المنتقى من أخبار مصر، تح، أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د ت، ص68، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 26/3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 152/5، رنسيمان، تاريخ، 122/2- 123.

(46) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص141، ابن الأثير، الكامل، 68/9، العظيمي، تاريخ حلب، ص361، رنسيمان، تاريخ، 126/2.

(47) ابن الأثير، الكامل، 68/9، ابن ميسر، أخبار مصر، ص69، رنسيمان، تاريخ، 127/2-129.

(48) الكامل، 68/9.

(49) ابن الأثير، الكامل، 68/9، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 33/3.

(50) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، 242/1، Stevenson ; The Crusaders in The East, Campridge, 2007, I . P46.

(51) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، 403/1.

(52) أحد أتباع الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، تولى ولاية مدينة عكا بأمر من الأفضل، وقد عرف باسم زهر الدولة الجيوشي، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، أنظر، ابن الأثير، الكامل، 85/9.

(53) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 143-144، ابن أثير، الكامل، 72/9، ابن ميسر، أخبار مصر، ص75، أبو الفدا، المختصر، 217/2، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 34/3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 185/5.

(54) سليمان عبد العبد الله الخرابشة، الصراع الفاطمي السلجوقي في بلاد الشام (447هـ-567هـ/1055م- 1170م)، رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1990، ص388.

(55) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 148-149، ابن الأثير، الكامل، 85/9، العظيمي، تاريخ، 363، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 35/3، رنسيمان، تاريخ، 144/2.

(56) تاريخ الحروب الصليبية، 145/2.

(57) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 148-149، ابن الأثير، الكامل، 85/9، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 35/3، رنسيمان، تاريخ، 145/2.

(58) وقد خالف المؤرخ الإفرنجي وليم الصوري بكثير ما جاء ذكره عند ابن الأثير، فيذكر عن تعداد الجيش الإسلامي بأَنَّهُ يقارب الخمسة عشر ألفًا من المقاتلين إلى جانب المحاربين الذين بالسفن، وأمَّا تعداد الجيش الصليبي فذكر بأَنَّهُ بلغ خمسمائة ألف من الفرسان وألفا جندي من المشاة، أنظر، الحروب الصليبية، 263/2، الكامل، 85/9.

[59] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص149، ابن الأثير، الكامل، 85/9، العظيمي، تاريخ، ص362-363،

[60] الفرما (فاراميا عند فوشي الشارتري)، هي مدينة قديمة على ساحل البحر، ولا تبعد كثيرًا عن أحد فرعي النيل المسمى بفرع دمياط، الذي تقع على مصبه مدينة أخرى أقدم منها تسمى تنيس، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 239/2، فوشي، تاريخ، ص162.

[61] وليام الصوري، الحروب الصليبية، 328/2-329، فوشي الشارتري، تاريخ، ص162، ابن القلانسي، ذيل، ص199، العظيمي، تاريخ، ص368، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 56/3، ابن تغري بري، النجوم الزاهرة، 171/5، رنسيمان، تاريخ، 161/2.

[62] وتتضارب حول وفاة بلدوين ملك بيت المقدس الروايات التاريخية بين المؤرخون المسلمين ونظراءهم من الإفرنج، فهذا وليام الصوري وفوشي الشارتري يذكران بأنَّ وفاته كانت بسبب تناوله وجبة من السمك كان قد اصطاداه رجاله من نهر النيل بعد سيطرتهم على قرية الفرما، فساءت حالته ورجع به رجاله إلى القدس فتوفي في الطريق بالعريش وأمَّا ابن الأثير فيذكر عن سبب وفاته أنَّه لما بلغ تنيس سبح في النيل فانتفض جرح كان به، فلمَّا أحس بالموت عاد إلى القدس فمات بها، أنظر، الحروب الصليبية، 239/2-330، تاريخ الحملة، ص163، ابن الأثير، الكامل، 178/9.

[63] ابن الأثير، الكامل، 179/9.

[64] فوشي الشارتري، تاريخ الحملة، ص185، ابن الأثير، الكامل، 178/9، العظيمي، تاريخ، ص369، 309/1، رنسيمان، تاريخ، 232/2-233.

[65] ذيل تاريخ دمشق، ص204، الكامل، 208/9.